خطة حرب أكتوبر

وعنصر المفاجأة

أدرك السادات أنه لاخلاص من الأزمة عن طريق الأمل فى حل سلمى ، يمكن أن يأتى له سهلا - كما كان يأمل - بمبادرات من الشرق أو من الغرب بحجة الحفاظ على السلام فى الشرق الأوسط . أو عن طريق المفاوضات المباشرة أو غير المباشرة مع العدو الإسرائيلى المتعنت . أو عن طريق المحاولات العبثية بحثا عن حل عادل مع عدو منتصر ومغرور ، تلعب فيها الإدارة الأمريكية أو الإتحاد السوفييتى دورا يتم فرضه على أطراف النزاع العربى الإسرائيلى .

وقد أدرك عبد الناصر قبله بعد الهزيمة الكارثية للجيشين المصرى والسورى فى يونيو ١٩٦٧ بأن الحل يتلخص فى عدد من الكلمات تقول : "أن ماأخذ بالقوة لايسترد بغير القوة" ، فقد كانت حتمية الحرب قرارا مصيريا وشعبيا لارجعة فيه ، مفروضا على أى رئيس لمصر ولا خيار له فيه ... وقد فرض هذا القرار نفسه وبقسوة على الرئيس السادات ، رغم محاولاته المتكررة تجنب مسئولية اتخاذ هذا القرار، وخاصة مع عدم استقرار السلطة له ، ومع ظروف صراعه على السلطة مع من سماهم بمراكز القوى .

وحتى بعد أن تم له تصفية تلك المراكز ، وانفرد انفرادا كاملا مطلقا بالسلطة دون معارض له أو منازع ، تردد كثيرا فى تحمل مسئولية اتخاذ

قرار الحرب ، رغم مرارة طول فترة "اللا حرب واللا سلم " ، التى عانت منها مصر كثيرا مع بدء وقف إطلاق النار بمبادرة روجرز الثانية ، اعتبارا من الساعة الواحدة من صباح السبت ٨ أغسطس ١٩٧٠ ، قبل وفاة عبد الناصر بحوالى خمسين يوما فى مساء يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٧٠ . ثم أخذ وقف إطلاق النار يتجدد تباعا بعد ذلك ، حتى تم اتخاذ قرار الحرب فى أكتوبر١٩٧٣ . - (ملاحظة : مراكز القوى كانت مجموعة على رأسها على صبرى ، وكان القادة السوفييت يرون أنها أقرب إلى التعاون معهم من مجموعة السادات التى يرون أنها تميل إلى الولايات المتحدة والغرب، ولذلك فقد شعروا بأن عليهم أن يترووا فى إجابة طلبات مصر من الأسلحة ، حتى يتحققوا من ولاء السادات للعلاقات المصرية السوفييتية، وحين نجح السادات فى التخلص من مراكز القوى التى حاولت الإنقلاب على نظامه فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، أطلق على نجاحه هذا إسم "ثورة التصحيح") .

ويقول المؤرخ العسكرى جمال حماد فى كتابه " المعارك الحربية على الجبهة المصرية" (دار الشروق – الطبعة الأولى ٢٠٠٢) الصفحة ٢٧ ، ٢٨ : ومنذ شهر يوليو ١٩٦٧ ظلت خطط العمليات العسكرية تتبدل وتتغير عدة مرات ، سواء فى أهدافها المرحلية أو فى أهدافها النهائية ، حتى استقر الرأى فى النهاية على تبنى "الخطة جرانيت ٢ المعدلة" ، والتى تم بموجبها تنظيم التعاون بين القيادتين المصرية والسورية يوم ٧ يونيو ٧٣ بمقر القيادة العامة المصرية بمدينة نصر .. وهى الخطة التى تم تغيير إسمها الكودى فى شهر سبتمبر ٧٣ إلى الخطة بدر.

ويقول المؤرخ عبد العظيم رمضان فى المقابل (كتابه "حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ " بالصفحة ٤٥) : ".. ومن الأمور ذات المغزى ، والتى تشير إلى تدهور الثقة فى السوفييت حالة القيام بهجوم مصرى ، هو أن القيادة المصرية كانت تخفى عن السوفييت خطة "المآذن العالية" المحدودة (خطة العبور) ، ولم تظهر لهم سوى خطة "العملية ٤١" التى تستهدف الوصول إلى المضايق ! ، والتى قامت بتحضيرها بالتعاون مع المستشارين السوفييت ، " لاطلاعهم على مايجب أن يكون لدينا من سلاح وقوات" – حسب تعبير الفريق الشاذلى .

ويقول جمال حماد (نفس المصدر السابق) : مما يدعو إلى الإلتفات أن كل من تولى منصب القائد العام (وزير الحربية) كان قد تولى منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة قبل إسناد منصب القائد العام له . الفريق أول محمد فوزى تولى منصب رئيس الأركان قبل هزيمة يونيو ٦٧ ، ثم تولى منصب القائد العام للقوات المسلحة من ١١ يونيو حتى تم إقالته فى ١٣ مايو ٧١ مع ماسماه السادات فى ١٥ مايو ٧١ بثورة التصحيح ، التى كانت انقلابا من السادات على مراكز القوى التى نازعته السلطة واتخاذ القرار .

والفريق محمد أحمد صادق تولى منصب رئيس الأركان اعتبارا من ١٠ سبتمبر ٦٩ ، ثم رقاه السادات إلى رتبة فريق أول عندما عهد إليه بمنصب القائد العام فى ١٣ مايو ٧١ لما قدمه من عون ومساندة له فى حركة ١٥ مايو ٧١ ، واستمر محمد صادق فى منصبه حوالى عام ونصف العام حتى تمت للسادات تنحيته فى ٢٦ أكتوبر ٧٢ .

أما المشير أحمد إسماعيل فقد تولى منصب رئيس الأركان برتبة فريق على أثر استشهاد الفريق عبد المنعم رياض فى ١٠ مارس ٦٩ ، ولم يبق فى منصبه سوى ستة أشهر فقط ، فقد أمر عبد الناصر بتنحيته عن منصبه فى ١٠ سبتمبر ٦٩ على أثر وقوع الإغارة البرمائية الإسرائيلية على الزعفرانة فى اليوم السابق ، ولكن الرئيس السادات أسند إليه منصب القائد العام فى يوم ٢٦ أكتوبر ٧٢ – (لولائه المطلق له ، رغم علمه بمرضه بالسرطان ، ورغم نُصح الأطباء له بأن حالته الصحية لاتسمح له باتخاذ القرارات) – ، وكان ذلك على أثر تنحية السادات للفريق أول محمد صادق ، أى قبل نشوب حرب أكتوبر بعام واحد فقط .

(ملاحظة : تعين أمين هويدى وزيرا للحربية بجانب منصبه كرئيس للمخابرات العامة فى ١٩٦٧/٧/٢١ ، حيث كان محمد فوزى قائدا عاما للقوات المسلحة فقط ، إلى أن جمع محمد فوزى بين منصبه كقائد عام ومنصب وزير الحربية فى ١٩٦٨/١/٢٤ ، والجمع بين منصبى القائد العام ووزير الحربية كان تعديلا أجراه لأول مرة عبد الناصر واستمر بعد ذلك حتى الآن) .

واستمر جمال حماد (ص ٢٨) قائلا : هذا وقد تولى منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة خلال هذه الفترة أربعة من القادة ، ذكرنا منهم اثنين وهما ، أحمد إسماعيل ومحمد صادق . وهناك إثنان آخران توليا هذا المنصب هما : الفريق عبد المنعم رياض تولى فى ١٢ يونيو ٦٧ حتى استشهاده فى ٩ مارس ٦٩ خلال حرب الإستنزاف ، والفريق سعد الشاذلى وقد تولى منصب رئيس الأركان يوم ١٦ مايو ٧١ على أثر أحداث حركة

١٥ مايو التى سماها السادات بثورة التصحيح ، أى قبل نشوب حرب أكتوبر بحوالى عامين ونصف .... ثم يقول جمال حماد : هؤلاء القادة الخمسة (محمد فوزى ، عبد المنعم رياض ، أحمد إسماعيل ، محمد صادق ، سعد الشاذلى) ، كانوا هم بلا شك المسئولين طوال الفترة بين الحربين (يونيو ٦٧ وأكتوبر ٧٣) وفقا لترتيب توليهم لمناصبهم عن وضع الأسس والتوجيهات لهيئة العمليات الحربية لإعداد خطط الحرب والعمليات العسكرية بشتى أشكالها ومراحلها مع مراعاة مدى إمكانات وقدرات القوات المسلحة على التنفيذ . وقد تمت لهم بالطبع مناقشة هذه الخطط على المستوى العسكرى مع هيئة العمليات ومديرى الأفرع والأسلحة وقادة الجيوش الميدانية ، وعلى المستوى السياسى مع رئيسى الجمهورية الراحلين عبد الناصر والسادات .

وحتى ٦ يونيو ٧٢ ، وهو تاريخ اجتماع مصغر للمجلس الأعلى للقوات المسلحة باستراحة الرئيس السادات بالقناطر الخيرية ، لم يكن قد تم الإتفاق على خطة واضحة لإتخاذ قرار الحرب .

ويقول جمال حماد : أن الفريق فوزى أوضح عقب مرور ثلاثة أعوام على هزيمة يونيو ٦٧ أن القوات المسلحة فى إمكانها بدء معركة تحرير سيناء والوصول إلى الحدود الدولية فى ١٢ يوم ، بمجرد صدور الأمر إليها بذلك . واتضح بعد ذلك أنه لاوجود لخطة هجومية لهذه المعركة ، وذلك بشهادتى الفريق الشاذلى والرئيس السادات فى مذكراتهما .

ونشر بعد ذلك الفريق أول محمد صادق مقالا فى نوفمبر ٨٤ ، ذكر فيه أن التفكير فى حرب شاملة لتحرير كل الأراضى المحتلة أمر لم يكن مطروحا عندما كان قائدا عاما للقوات المسلحة ، لأن ميزان القوى كان وقتئذ لصالح إسرائيل . وقدم محمد صادق خطة تتلخص فى عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف شرق القناة وتحريره ، ثم إسقاط وحدات مظلات وصاعقة وقوة اقتحام جوى فوق المضايق للتمسك بها لحين وصول القوات المدرعة والمشاة الميكانيكية إلى المضايق الثلاثة لتعزيز تحريرها (المصدر : جمال حماد ص ٢٩-٣٥) .

وبنفس هذا الإجتماع المصغر لمجلس القوات المسلحة الأعلى ، فى ٦ يونيو ٧٢ المذكور قبل ، يقول جمال حماد : أن السادات كان يؤيد رأى الفريق محمد صادق فى عدم بدء المعركة إلا بعد أن تتوافر لمصر قوة ردع جوى قادرة على ضرب عمق العدو ، ولكنه تساءل فى نفس الوقت عما يكون العمل إذا اضطرنا الموقف السياسى إلى بدء المعركة قبل الإنتهاء من بناء قوة الردع ؟ . فأوضح الفريق الشاذلى بنفس الإجتماع : أنه يمكن التغلب على هذه المشكلة فى حالة تنفيذ الفكرة التى أبداها من قبل ، وهى التخطيط لمعركة هجومية محدودة فى ظل تفوق جوى معاد . وذكر الشاذلى "أنه يمكن الإعتماد فى تحدينا للتفوق الجوى الإسرائيلى خلال تلك المعركة على الصواريخ المضادة للطائرات (سام) " .

وقد أكد الفريق الشاذلى أن اللواء المسيرى الذى حضر هذا الإجتماع مندوبا عن القوات الجوية قد أيد رأيه تماما . (المصدر : جمال حماد ص ٣٦) . وكان يشير الشاذلى فى هذا الإجتماع المصغر إلى الخطة

التى كان يفكر بها دائما فى ظل تفوق العدو الجوى ، وهى نفس الخطة التى تم وضع مكوناتها وتفاصيلها وتسميتها فيما بعد بخطة "المآذن العالية".

وما يعنينا فى أمر ما سبق ، أنه حتى ٦ يونيو ٧٢ ، كانت خطة الحرب أمرا لم يتم الإتفاق عليه بعد ، وعلى ذلك فإن تكرار إطلاق السادات على عام ٧١ صفة عام الحسم ، ثم إطلاق نفس الصفة على عام ٧٢ ، لا يمكن أن يعطى لهذا الحسم تفسيرا بأنه سوف يكون حسما بالحرب والقتال ، هذا رغم ما صرح به السادات بالنص قائلا : "لن أسمح أن تمر سنة ١٩٧١ دون أن تُحسم هذه المعركة " ، ورغم قوله أيضا : "إن هذه السنة سنة ١٩٧١ سوف تكون حاسمة فى أزمة الشرق الأوسط .. وأن هذه السنة يجب أن تشهد – بعون الله – تحركنا العملى نحو إزالة آثار العدوان " – (المصدر : أنيس منصور ص ١٦١ من كتابه "من أوراق السادات" الطبعة الرابعة ٢٠١٠ دار المعارف) ..

ومن المعروف أن عام ٧١ شهد صراعا حادا مع السادات على السلطة ممن سماهم بمراكز القوى ، التى كان يتزعمها على صبرى كما أوضحنا من قبل ، ولم تكن سلطة اتخاذ القرار فى أى أمر فى شئون مصر داخليا أو خارجيا ، قد استقرت خالصة تماما فى يد السادات فى ذلك الوقت ، وفى شأن ذلك قال السادات (المصدر السابق /جمال حماد) : " .. وقلت على مسمع من السوفييت والشعب والعالم : أن التحقيقات أثبتت أن على صبرى كان ينتظر فرقعة .. فرقعة داخل مصر .. فإذا حدثت الفرقعة وآلت لهم السلطة فلا داعى للحرب .. فلا أحد يحارب ولا أحد من شعبنا يصاب

بسوء .. ولكنى أقول وأكرر أن سنة ١٩٧١ حاسمة ، وإذا اقتضت المعركة أن يكون هناك مليون من الضحايا فنحن على استعداد لذلك .. " !! . وعلى أى حال فقد كانت لحالة السادات النفسية فى تلك الفترة المضطربة آثارا جانبية بالغة الحساسية ، أصبح معها السادات فاقدا لصفة الصراحة مع الشعب أو مع معاونيه أو مع العالم الخارجى ، بهدف تمرير بعض سياساته ، ولازمته تلك الحالة حتى إغتياله فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ . ومن المؤكد أن تلك الحالة قد أفادت – دون قصد منه – فى خداع إسرائيل والقوتين الأعظم ، عندما فاجأتهم مصر بالحرب فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

ويقول المؤرخ الدكتور عبد العظيم رمضان فى كتابه "حرب أكتوبر– فى محكمة التاريخ " بالصفحة ٤٢ : فى الحق أن الأوضاع الداخلية فى مصر فى ذلك الحين كانت تضغط ضغطا شديدا فى هذا الإتجاه (أى فى اتجاه الحسم بالحرب) .

ففى خلال عام ١٩٧١ كان الرئيس السادات يرفع شعار "الحسم" ويكرره فى كل مناسبة ! ، وذلك لكى يحمل المجتمع الدولى على التحرك من أجل فرض الحل السياسى العادل الشامل " .

وهذا يعنى أن السادات كان يأمل كثيرا فى الحل السلمى عن طريق ماكان يعتبره ضغطا على الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتى . وكان رفعه لشعار الحسم هو رد فعل لضغوط الداخل ، ويمثل عنده أملا فى المجتمع الدولى بأن يأخذ كلامه على محمل الجد ، فيسارع المجتمع الدولى بالتحرك نحو فرض الحل السلمى حفاظا على الإستقرار والسلام بمنطقة الشرق

الأوسط ، ولكن حين انقضى عام ٧١ دون أى حسم ، اضطر السادات كما يقول المؤرخ عبد العظيم رمضان بالصفحة ٤٣ من كتابه ، أن يتذرع باندلاع الحرب الهندية الباكستانية فى ٣ ديسمبر ١٩٧١ مختلقا قصة الضباب المشهورة .

فما هى علاقة الحرب الهندية الباكستانية بانقضاء عام الحسم دون حسم ! ، وهى التى حدثت فى الأيام الأخيرة من عام ٧١. من الصعب اكتشاف أى علاقة منطقية بين تلك الحرب وبين فشل الحسم الذى كان السادات يكرره طوال عام ٧١ ، إلا إن كان هذا الحسم الذى كان يقصده كان حسما سلميا ، يعتمد فيه السادات على مجهودات آخرين مؤثرين على نظام عالم هذا الزمن ، الذى كان معروفا بزمن الحرب الباردة بين قطبى العالم – الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتى .

وكان كل ما نعرفه فى ذلك الوقت عن تلك الحرب الهندية الباكستانية ، أنها بدأت بضربة جوية استباقية فاشلة من الباكستان ضد الهند مساء يوم ٣ ديسمبر عام ٧١ ، فأعلنت أنديرا غاندى رئيسة الهند الحرب على الباكستان ، وانتهت الحرب سريعا يوم ١٦ ديسمبر بهزيمة قاسية للباكستان ، فقدت فيها الباكستان نصف أرضها الشرقية ، ونشأ عن تلك الحرب دولة جديدة ذات سيادة مستقلة فى الجزء الشرقى منها هى دولة بانجلاديش .

وكانت تلك الحرب فرصة للقوتين الأعظم فى زمن الحرب الباردة ، لإستعراض القوة ، فى محاولة لكسب مناطق نفوذ بعالم هذا الزمن .

وسارع نيكسون رئيس الولايات المتحدة بدعم باكستان بالسلاح وحرك الأسطول الثامن إلى خليج البنغال وحاملة الطائرات النووية إنتربرايز Enterprise . فسارع الإتحاد السوفييتى بدعم الهند بالسلاح ، وحرك هو الآخر بارجتين وغواصة مسلحين بالصواريخ النووية فى اتجاه خليج البنغال أيضا بالمحيط الهندى .

وعلى ذلك نتساءل : هل قصة الضباب التى اختلقها السادات كانت بسبب انشغال القوتين الأعظم عن لعب دور فعال فى أزمة الشرق الأوسط والصراع العربى الإسرائيلى ، نتيجة انشغالهما بالحرب الهندية الباكستانية ، رغم أن انشغالهما كان لأيام قليلة فى نهاية عام ٧١ ، كسب فيها الإتحاد السوفييتى نفوذا سياسيا وعسكريا جديدا عندما حسمت الهند الحرب لصالحها ضد الباكستان .

فهل كان هذا الإنشغال سببا لضياع حلم السادات بالحسم سلما أو حربا وسط ضباب دولى كثيف ؟! ، مما جعله مضطرا إلى تأليف قصة الضباب المشهورة تبريرا لعدم الحسم الذى كان يكرر إعلانه ، فاضطر أن يبرر ذلك بقوله : "أنه لولا قيام الحرب الهندية الباكستانية لقامت الحرب عام ٧١ وتم الحسم" . هنا يجب أن نقول أن السادات قد أخطأ كثيرا باستغبائه للشعب المصرى ، عندما اعتقد أن هذا الشعب يستطيع أن يبتلع ويهضم قصة الضباب التى ألفها . وكانت قصة الضباب قصة مفضوحة للجميع ، وكان مصطلح الحسم نفسه مصطلحا ضبابيا تاه معناه عند السادات ، فترك أمر معناه والمراد من مقصده للقوتين الأعظم ، فخذلته

القوتان بضباب انشغالهما عنه بالصراع والتنافس على مناطق نفوذ أخرى بمنطقة بعيدة بالقارة الآسيوية .

إن الكاتب الروائى المشهور توفيق الحكيم رحمه الله أصدر بيانا فى شأن تأخير الحسم بسبب الضباب – نيابة عن كتاب مصر وعن النخبة من مثقفيها – وجهه للسادات قائلا : إذا لم تكن ترى غير الضباب فاترك أمر الحكم والحسم للشعب .

وقد أثارت قصة الضباب غضب الشعب ، وانفجرت الإضطرابات بين الطلاب ، الذين مزقهم الشعور باليأس فى يناير ١٩٧٢ ، واعتصموا بجامعة القاهرة ومعظم كليات جامعة عين شمس . وأخذت الأقلام تندد بحالة اللاسلم واللاحرب .

ويقول اللواء الجمسى رئيس عمليات القوات المسلحة أثناء حرب أكتوبر – (نقلا عن كتاب المؤرخ عبد العظيم رمضان) – بمذكراته ص ٢١٤ (الطبعة الأولى ١٩٨٩) : " أحس السادات بأن شعبيته قد تأثرت ، وسمعته أخذت تتقوض . وحاول بث الطمأنينة فى قلوب الجماهير عن طريق تصريحات تؤكد أنه ليس هناك مايدعو لمناقشة قرار المعركة ، وأن المعركة حتمية ولابد منها . " .

وأطلق السادات شعار الحسم مرة أخرى على عام ١٩٧٢ فى خطابه بإحدى القواعد الجوية فى ٣٠ مارس ١٩٧٢ . وأثناء زيارة السادات لموسكو فى شهر إبريل ١٩٧٢ ، وكانت بدعوة من القيادة السوفييتية صارحه المارشال جريتشكو قائلا إن المتطلبات الثلاثة الأساسية

لحرب ناجحة هى : السلاح ، والتدريب ، وإرادة القتال. وقال : " إن المطلبين الأولين متوفرين لديكم ، أما المطلب الثالث ، فلكم أن تستشيروا ضميركم بشأنه " !

وفى أواخر عام ١٩٧٢ كان السادات قد استنفد تماما كل الوسائل السياسية والدبلوماسية ، التى كان يتبناها لتحريك القضية من مأزق "اللاحرب واللاسلم" . وحتى حين تقدم بمبادرته فى فبراير ١٩٧١ ، التى أكدها أيضا فى مايو من العام نفسه (المصدر : عبد العظيم رمضان/ المرجع السابق ص ٤١) ، وقامت مبادرته على مد فترة وقف إطلاق النار لمدة ٦ شهور ، ويتم البدأ فى تطهير قناة السويس بشرط أن تنسحب إسرائيل جزئيا من سيناء .

تلقى رسالة من الإدارة الأمريكية تعليقا على هذه المبادرة مفادها : بأنه إذا كان يظن أن تحديد موعد أخير لإنهاء وقف إطلاق النار يمكن أن يكون عامل ضغط على الولايات المتحدة فهو مخطئ ، لأن الحاجة تدعو إلى مزيد من الوقت ! ، مما يعنى أن وقف إطلاق النار هو أمر واقع لاتسعى إسرائيل أو الإدارة الأمريكية لتغييره ، وأن الزمن مع عدم انسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها هو فى صالحها .

وكانت استجابة الولايات المتحدة لمبادرة السادات سلبية ومحبطة ، رغم محاولته تشجيع الإدارة الأمريكية على قبولها ، حين استدعى دونالد برجس رئيس قسم رعاية المصالح الأمريكية فى ذلك الوقت ، وكلفه بنقل

رسالة إلى الرئيس نيكسون بأنه إذا تمكن من تنفيذ مبادرته – فك الإشتباك وإعادة فتح قناة السويس – فإنه سيطرد السوفييت من مصر .

وحين أراد السادات بعد ذلك أن يعطى ورقة ثمينة مقدما للولايات المتحدة ، وخاصة بعد أن فقد صبره لتجاهل السوفييت له واستخفافهم به ، أصدر قراره فى يوليو ١٩٧٢ بالإستغناء عن طائرات الميج ٢٥ بطياريها السوفييت بإجمالى لواءين جويين ، وهى طائرات متفوقة على طائرات الفانتوم التى كان يمتلكها سلاح الجو الإسرائيلى فى ذلك الوقت ، وكذلك الإستغناء عن الخبراء السوفييت الذين كانوا يشكلون فرقة صواريخ أرض جو والعديد من وحدات الحرب الإلكترونية .

وفعل السادات ذلك دون أن يساوم الإدارة الأمريكية مقدما على أى شيئ . كما لم يكن توقيت قراره هذا موفقا لأنه تم والإدارة الأمريكية منشغلة عنه وعن أزمة الشرق الأوسط وسط معركة الإنتخابات الرئاسية ، ولم تكن متعجلة فى شأن الإنشغال بتلك الأزمة ، وخاصة أن إيقاف إطلاق النار هو إيقاف سارى بالمنطقة والواقع هادئ على الأرض وكل شيئ فى مصلحة إسرائيل .

كما لم يبدى كيسينجر أى اهتمام بقرار السادات الإستغناء عن المستشارين السوفييت أثناء اجتماعه مع حافظ إسماعيل مستشار السادات للأمن القومى ، وعلق كيسينجر تعليقا يتسم بالتعالى على هذا القرار بقوله : أن البضاعة وصلت والهدف قد تحقق وبالتالى فما حدث أصبح تاريخا ، وهنرى كيسينجر لايهتم بالتاريخ ، والحاضر فى حالتنا هو الذى يصيغ

الأمر الواقع ، والأمر الواقع هــو ركيــزة إدارة الأزمــات (أمــين هويدى- "الفرص الضائعة" طبعة ١٩٩٢ ص ٢٨٨) .

وإضافة إلى انشغال الإدارة الأمريكية بانتخابات الرئاسة فى الشهور الأخيرة من عام ١٩٧٢ وتولى الإدارة الجديدة السلطة فــى أوائــل عــام ١٩٧٣ ، فإنه حين بدأ حافظ إسماعيل مباحثاتــه الــسرية الأولــى مــع كيسينجر فى فبراير ١٩٧٣ ، كان كيسينجر حريصا على أن يؤكد لحــافظ إسماعيل أن لاينتظر الكثير من الجانــب الإســرائيلى إلا بعــد الإنتخابــات الإسرائيلية فى أكتوبر ١٩٧٣ .

كما أن مؤتمر القمة السوفييتى الأمريكى الذى انعقد فى موسكو فى المدة من ٢٢ مايو إلى ٣٠ مايو ١٩٧٢ كــان بمثابــة صــدمة للــسادات وللشعب المصرى كما يقول المؤرخ عبد العظيم رمــضان (كتابــه "حــرب أكتوبر فى محكمة التاريخ" ص ٤٤) ، لأنه أكد الظن الــذى كــان يــساور الجميع بأن الدولتين العظميين قد اتفقتا علــى اســتمرار حالــة اللاسـلم واللاحرب ، باعتبارها الحالة المناسبة لتجنب حدوث مواجهة بينهما .

من مجمل ماسبق فإنه يمكن القول بأن إعلان السادات عام ٧١ هو عام الحسم ، ثم إطلاق نفس الوصف على عام ٧٢ أيضا دون حسم ، لــم يكن بقصد أن يكون ذلك ضمن خطة خداع سياسية للعدو ، بهدف مفاجأتــه بالحرب بعد ذلك فى عام ٧٣ كما يدعى البعض . كمــا لــم تكــن دوافــع السادات بقراره الإستغناء عن الخبراء السوفييت ، بقصد أن يجعل إسرائيل

والغرب والشرق يظنون أن مصر لن تدخل المعركة التى سوف تدخلها فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

والسادات نفسه لم يقل بذلك ، بل قال بمذكراته إن دوافع إتخاذه قرار الإستغناء عن الخبراء السوفييت كان لموقف الإتحاد السوفييتى من إمداد الجيش المصرى بالمعدات والأسلحة وتسويفهم فى ذلك ، وأنه بنى استراتيجيته على أساس ألا يبدأ المعركة وعلى أرض مصر خبراء مقاتلين سوفييت . أما قول كيسينجر بمذكراته بعنوان "سنوات مضطربة" **Years of Upheaval** ص ٤٥٩ عن السادات : بأن ما فعله السادات بتكرار إعلانه للحسم عامى ٧١ ، ٧٢ دون حسم يشبه ما فعله هتلر من خداع فى الحرب العالمية الثانية حين حشد قواته على الحدود السوفييتية بشكل ظاهر ، ثم تعمد تركيز وسائل إعلامه بأنه يفضل المفاوضة ولا يفضل اللجوء إلى الحرب ، فصدقه ستالين ، وحين إطمأن هتلر لتصديقه ، فاجأه بالهجوم والحرب ، فإن قول كيسينجر هذا كان قولا مغلوطا ، لأن السادات لم يخدع عدوا حين أعلن الحسم عامى ٧١ ، ٧٢ دون حسم ، بل خدع شعبه وخدع نفسه .

لأن الثابت أن السادات لم يكن يسعى بالحسم حربا ، ولكنه كان يسعى بالحسم حسما دبلوماسيا تجنبا لمسئولية الحرب الجسيمة ، آملا من القوتين الأعظم تحريك الأزمة بأى مبادرة سلمية أو بقبول مبادرته التى أشرنا إليها من قبل .. ووجدنا فى النهاية أن السادات قد اضطر إلى خيار الحرب ، والإعتماد على إرادة شعب مصر الذى طال تجنيده للقتال والحرب

دون حرب أو سلم ، والتخلى عن أحلامه بتحريك الأزمة بمبادرات من هنا أو هناك .

وقد لخص عبد الغنى الجمسى ضرورة اللجوء إلى الحرب بمذكراته ص ٢٥٩ فى الآتى : أن مصر قد استنفدت كل الوسائل السياسية والدبلوماسية للخروج من "حالة اللاسلم واللاحرب" .

وأصبح واضحا أن سياسة الوفاق بين الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتى لاتوفر الظروف المناسبة لحل المشكلة بما يتفق مع المصالح العربية ، بل إن هذه السياسة أصبحت فى صالح القوتين الأعظم وإسرائيل ، كما أن طول فترة الإنتظار على جبهة القتال التى امتدت إلى خمسة وستة أعوام دون جديد فى الموقف العسكرى أثرت بالسلب على معنويات القوات المسلحة ، وخاصة مع تغير مستوى المقاتل المصرى – بعد يونيو ١٩٦٧ – تغييرا جذريا ، بعد أن تم تجنيد شباب مصر من ذوى المؤهلات العالية ، وأصبحوا يشكلون نسبة كبيرة فى الوحدات المقاتلة كجنود وضباط .

ومع إستمرار التعبئة العامة منذ عام ١٩٦٧ ، كان يزداد عدد المقاتلين يوما بعد يوم ، وكلما طال الوقت أصبح المقاتل يتمنى بدء الحرب تحريرا لوطنه اليوم قبل غدا وإنهاء حالة اللاسلم واللاحرب ، هذه الحالة التى استنزفت كثيرا من طاقات مصر البشرية والإقتصادية نتيجة للتعبئة العامة عدة سنوات الأمر الذى كان يشكل ضغطا متزايدا على الجبهة الداخلية يوما بعد يوم .